ويرجع حال من ضمير موقوفون والقول مفعول يرجع لانه يتعدى قال الله تعالى
يقول الذين استضعفوا اي وقع استضعافهم ممن هو فوقهم في الدنيا وهم
الاتباع في تلك الحال على سبيل اللوم للذين استكبروا اي اوجدوا الكبر
وطلبوه مما وجد وامر اسبابه التي ادت الى استضعافهم للاولين وهم
الروس المتبوعون لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن
الايمان لكنا مؤمنين اي باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا
محل له قال ابن عادل وانتم بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب ولهذا
هو الافصح اعني وقوع ضمائر الرفع بعد لولا اي وغيره فصيح خلافا للمبرد
حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد وكم موطن لولاي
والاخفش جعل انه ضمير نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله
ضمير جر ولما لم يتضمن كلامهم سوى قضية واحدة ذكر الجواب
عنها بقوله قال الذين استكبروا على سبيل الاستيناف للذين استضعفوا
ردا عليهم وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم انحن خاصة صددناكم
اي منعناكم وصدفناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم اي على السنة الرسل لم نفعل
ذلك لان المانع ينبغي ان يكون ارجح من المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به
الرسل هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع
من قبول ما جاءوا به فلم يصح تعلقكم بالمانع وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم
باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام واما الالف بعد الجيم حمزة
وابن ذكوان ونحوها الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذ تامروننا واما وقف
حمزة على جاءكم مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر ؛
بل كنتم اي جبلة وخلقا مجرمين اي كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا
فان قيل اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا
اليها اجيب بانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف
اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك حينئذ بعد اذ جاء زيد وحينئذ
ويومئذ ولما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب
في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم
واختيارهم كر عليهم المستضعفون كما قال تعالى وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا ردا لانكارهم صدهم بل اي الصادين مكر الليل
والنهار اي الواقع فيهما من مكركم اينا ليلا ونهارا اذ تامروننا ان نكفر بالله اي
الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل اتيان الرسل ونجعل له
اندادا اي شركاء نعبدهم من دونه فان قيل لم قيل قال الذين
استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا اجيب بان الذين
استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق

الاستيناف

طريق

ان يطلعوا اضرابهم باضرابهم
كانهم قالوا ما كان الاجرام من
جهتنا بل من جهتكم صح

الاستيناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول تنبيه
يجوز رفع مكر من ثلاثة اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم
في هذين الوقتين كامر الثاني ان يكون مبتدا خبره محذوف اي مكر الليل صدنا الثالث
العكس اي سبب كفرنا مكركم واضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد
المجازي كقولهم ليل ماكر والعبيد تضيف الفعل المكر الى الليل والنهار على توسع الكلام
كقول الشاعر ؛ ونمت وما ليل المطي بنائم ؛ فيكون مصدرا مضافا
لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مفعولا مضافا
لمنصوبه قال ابن عادل وهذا احسن قول من قال ان الاضافة بمعنى في
الليل لان ذلك لم يثبت في محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة
وطول الامل فيهما كقوله تعالى فقست قلوبهم تنبيه قوله تعالى اولا يرجع
بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل
وقوله تعالى في الايتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال
الذين استضعفوا بلفظ الماضي مع ان السؤال والمراجعة في القول لم تقع
اشار به الى ان ذلك لا بد منه وموعد فان الامر الواجب الوقوع كانه
وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل
واسروا اي الفريقان الندامة من المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون ندم المستكبرون على
اضلالهم وضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين
لما اي حين راوا العذاب اي اخفاها كل عن رفيقه مخافة التعبير
وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اي اظهروا الندامة قال
ابن عادل ويحتمل ان يقال انهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله تعالى
بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان لا مرد لكم فاسروا
ذلك القول وقوله تعالى وجعلنا الاغلال اي الجوامع التي تغل اليد الى
العنق في اعناق الذين كفروا يعم الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل في
اعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويها بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال
وهذا اشارة الى كيفية عذابهم هل يجزون اي بهذه الاغلال
الا ما اي جزاء ما كانوا يعملون اي على سبيل التجديد والاستمرار ولما كان
في هذا تسلية اخروية للنبي صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية الدنيوية
بقوله تعالى وما ارسلنا اي بعظمتنا في قرية واكد النفي بقوله تعالى
من نذير الا قال مترفوها اي رؤساؤها الذين لا شغل لهم الا التنعم بالفاني
حتى اكسبهم البغي والطغيان ولذلك قالوا لرسلهم انا بما ارسلتم
به اي ايها المنذرون كافرون اي واذا قال المتنعمون ذلك تبعهم
المستضعفون وقالوا اي المترفون ايضا مفاخرين نحن اكثر اموالا

Copyright King Saud University